



تأثير مرض حساسية القمح على نمو الأطفال

يحدث مرض حساسية القمح (السيلياك) نتيجة التعرض لمادة القلوتين في القمح، ولا يكفي التعرض لمادة القلوتين فحسب، بل لا بد من توفر عدة عوامل جينية وبيئية (غير معروفة بالضبط)، تقوم على استثارة الجهاز المناعي للجسم، وهو الذي يهاجم بدوره بطانة الأمعاء الدقيقة، مسبباً التهاباً مزماً فيها، وهو ما ينتج عنه -لاحقاً- أعراض مرض حساسية القمح (السيلياك) المعروفة.

إن وجود أي مرض مزمن يصيب الطفل سيؤثر بالضرورة على نموه الجسدي والنفسي، خاصةً خلال مرحلة البلوغ، وتعد مرحلة مهمة جداً من مراحل النمو عند الأطفال، وفيها تتحدد هويته النهائية باعتباره شخصاً بالغاً، ففي هذه المرحلة يزيد وزن المراهق إلى الضعف تقريباً، ويزيد طوله بنسبة 16% من الطول النهائي، بالإضافة إلى حصول الكثير من تغيرات البلوغ الجسدية والنفسية المعروفة، كل هذه التغيرات تحدث وتمر بسلام لدى الأطفال الأصحاء، ولكن الأمر قد لا يمر بتلك السهولة لدى الأطفال المصابين بالأمراض المزمنة كمرض حساسية القمح (السيلياك).

إن التأخر في الوصول للتشخيص أو العلاج، أو عدم الانتظام على الحمية الخالية من القلوتين في مرحلة الطفولة والمراهقة لا يؤدي فقط إلى ظهور أعراض الجهاز الهضمي وتفاقمها كآلام البطن، والإنتفاخ، والإسهال، وفقدان الوزن وغيرها من الأعراض، بل إن الأمر قد يمتد بآثاره السلبية مسبباً التأخر في البلوغ، وقصر القامة مقارنةً بالأقران. إن هذه الآثار السلبية قد تحصل حتى مع عدم وجود تغير في الوزن. كما أن عدم التقيد بالحمية قد يسبب ضعف كثافة العظم لدى المراهق مما قد يسبب هشاشة العظام في المستقبل، حيث تعد فترة البلوغ هي الفترة الأهم في حياة الإنسان لبناء كتلة العظم. إن كل هذه المضاعفات الجسدية تؤثر -بلا شك- بشكل أعمق وسلبي في الناحية النفسية للطفل/المراهق، من ثم على ثقته بنفسه، وتفاعله مع الآخرين.

إن معرفة هذه الحقائق توجب على الطبيب الحرص على التشخيص السريع لهذه الحالات عند الأطفال والمراهقين، وتوجب على أهل الحرص على البدء بالحمية الخالية من القلوتين فوراً بعد تأكيد التشخيص، ومن ثم الانتظام عليها، والمتابعة مع الطبيب المعالج وأخصائي التغذية، حتى لا تحصل المضاعفات التي ذكرناها أعلاه، وحتى يستطيع الطفل/المراهق تجاوز هذه المرحلة بسلام وبأفضل النتائج.

وأخيراً لعلني أنهه هنا إلى أن كثيراً من الناس حتى من بعض الأطباء- يُخطئون عندما يعاملون الأطفال معاملة الأشخاص البالغين في الصحة والمرض، معتقدين بذلك أن الأطفال هم نسخة مُصغرة عن البالغين. إن الطفل -أيّاً كان عمره- يختلف عن الشخص البالغ، فهو مخلوق متزال كل خلية من خلاياه تتشكل وتتطور، وتتفاعل بشكل مختلف مع ما تتعرض له من العوامل الخارجية خاصةً خلال فترة المرض، ولذلك مهما كان الطبيب في أي تخصص- بارعاً في التشخيص والعلاج، فهو ما يزال غير مؤهل للتعامل مع الأطفال وعلاجهم، خاصةً عند التعامل مع الأمراض المزمنة كمرض حساسية القمح (السيلياك)، لذلك لا بد لهؤلاء الأطفال من المعالجة والمتابعة من طبيب الأطفال المتخصص بأمراض الجهاز الهضمي، للوصول لأفضل النتائج.

د. أحمد بن علي الصرخي

استاذ طب الأطفال المساعد، واستشاري أمراض الجهاز الهضمي والكبد ومناظير الأطفال
مستشفى الملك خالد الجامعي - كلية الطب - جامعة الملك سعود